من ذكرياتي ... وقفات في مسار المدرسة العليا للأساتذة بالقبة (1)

محمد الطيب سعداني
أستاذ متقاعد، بقسم الكيمياء، المدرسة العليا للأساتذة، القبة
mohammedtayeb.sadani@g.ens-kouba.dz

المقدمة

شهدت المدرسة العليا للأساتذة بالقبة تطوّرا ملحوظا منذ سنوات نشأتها الأولى في الستينيات من القرن المنصرم إلى أيامنا هذه -مطلع السنة الميلادية 2023- إن من حيث المهام أو من حيث عدد طلبتها وأساتذتها ومدة الدراسة بها ومرافقها البيداغوجية والبحثية. ونكتفي، كمؤشرات عن هذا التطور الهائل، بذكر أنّ عدد طلابها يبلغ اليوم، في السنوات الأولى وحدها 1676 طالبا ولم يكن يبلغ سنة إنشائها، سنة 1964، إلّا 60 طالبا؛ وأنّ لها اليوم - فضلا عن مرافقها البيداغوجية- أربعة عشر مخبر بحث، وقسما للعلوم الموسيقية (منذ 1983)، ولم يكن شيء من ذلك موجودا في الستينيات.

ولا يمكن لمقال في بضع صفحات أن يتّسع ليشمل تأريخ هذه الحقبة بكل تفاصيلها. ومن أجل ذلك لا ندّعي أنّ هذا المقال -الذي كتبناه بمناسبة الذكرى التاسعة والخمسين لإنشاء المدرسة، استجابة لطلب من أخينا الأستاذ أبي بكر سعد الله- تأريخا للمدرسة العليا للأساتذة بالقبة بالمعنى العلمي الدقيق للكلمة. فهو لا يعدو أن يكون سردا لما علق بذاكرتنا من أحداث (عشتها وأنا طالب بالمدرسة في أواخر الستينيات، ومدير للدراسات طوال أربع عشرة سنة من 1976حتى سنة 1990، السنة التي أسندت إلينا فيها مهمة إدارتها)، واعتمادا على عدد قليل من الوثائق الرّسمية وشهادات بعض قدامى طلبة المدرسة وموظفيها وعمّالها.

لقد بدا لنا بأنّه من الممكن -بالنظر للمنعطفات الحاسمة في مسيرة مدرستنا- أن نحصر المراحل التي مرّت بها بصورة تقريبية في أربع من المراحل:

- مرحلة النشأة من 1964 إلى 1971؛
- مرحلة التردد والبحث عن إثبات الذات من 1972إلى 1979؛
- مرحلة الإقلاع من 1980 إلى 1990؛
- مرحلة التوسّع الكمي والكيفي من 1990 إلى يومنا هذا.

وسنقصر مقالنا هذا على الفترة الممتدة بين 1964، سنة إنشاء المدرسة، و1990، مركّزين بالخصوص على مرحلة النشأة الأولى أي من 1964 إلى 1971ومكتفين بذكر بعض أهمّ الأحداث، ذات الدّلالة من وجهة نظرنا، التي عاشتها المدرسة في المرحلتين اللتين عقبتاها.

ولا نبغي، أن نستهلّ مقالنا هذا إلّا بإجزاء كل آي الشّكر والعرفان للأستاذ عبد الحفيظ مصطفاي (1935-2006)، مدير المدرسة من سنة 1969 إلى 1990، رحمه الله، لما أحاطنا به من عناية خاصة وأنا طالب بالمدرسة، ولِما وضعه فينا من ثقة مطلقة لمّا كلّفنا بإدارة الدّراسات في مطلع السّنة الجامعية 1976-1977، ولما وجدنا عنده دوما من سند وتأييد. كما لا يفوتنا أن نزجي خالص عبارات الودّ والتقدير لروح أخينا المرحوم السيّد أحمد معراجي (1940-2021)، المشهود له بسماحة الخلق ونبل الخصال وسعة الصدر، فإنّنا لم نسمع منه طوال تولّيه نيابة مديرية الإدارة (أكثر من 30 سنة) إلّا الكلم الطيب. وأن نشيد بما قدّمه الرّجلان من جهد، بتفان وإخلاص مدة طويلة، لكي تصمد المدرسة العليا للأساتذة وترفع التحديات العديدة التي واجهتها.

ملاحظة: كلما ذكرت المدرسة فيما يلي من النص فإنّه يُقصد بها المدرسة العليا للأساتذة بالقبة.

1. التأسيس والموقع

لم تكن توجد في الجزائر، غداة استقلالها سنة 1962، مؤسّسة لإعداد أساتذة التعليم الثانوي كما هو الشأن بالنسبة لإعداد معلّمي المدارس الابتدائية حيث كان يوجد عدد منها في كبريات مدن القطر الجزائري والتي أنشئت جميعها إبّان العهد الاستعماري، وأقدم هذه المدارس مدرسة المعلمين ببوزريعة التي أنشئت بموجب مرسوم إمبراطوري بتاريخ 4 مارس 1865. ولسدّ هذه الحاجة شرعت مجموعة من الأساتذة في التفكير في مشروع إنشاء مدرسة عليا لتكوين أساتذة التعليم الثانوي العام (العلوم والآداب)، يُذكر من بينهم السّيّدان أحمد حميد بن سالم (1908-1973) وزهير إحدادان (1928-2018) [1]. وأثمرت جهود هذه المجموعة فتوجت -بناء على تقرير من وزارة الإرشاد القومي آنذاك- بإصدار المرسوم الرئاسي 64-134 بتاريخ 24 أفريل 1964، الذي بمقتضاه أنشئت "مدرسة عليا للمعلمين" بالعاصمة الجزائر. ولقد سميت هذه المدرسة بـ Ecole normale supérieure، وشاع اسمها بالعربية بالمدرسة العليا للأساتذة.

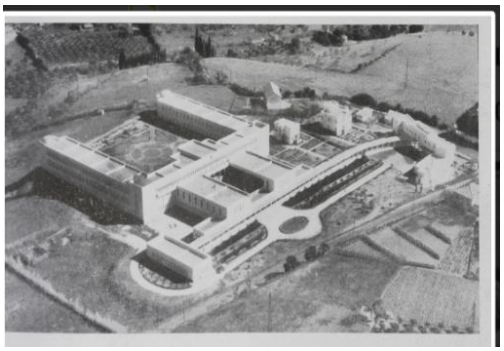

الصورة 1. منظر عام لمركز معطوبي الحرب

الصورة 2. مدخل مركز معطوبي الحرب

اتخذت هذه المدرسة مقرا لها مبنى بالقبة القديمة كان مأوى لمعطوبي الحرب منذ عام 1952، يدعى في العهد الاستعماري "بمركز معطوبي الحرب بإفريقيا الفرنسية" أي المستعمرة من طرف فرنسا Centre des Invalides de l'Afrique française [2] (الصورتان 1 و2). وكان ذلك بعد مغادرة آخر دفعة من معطوبي الحرب يوم 30 أكتوبر 1964. والمركز يتربع على مساحة تقدر بنحو 5040 م^2 ، ويمكنه إيواء 300 شخص من بينهم 240 في غرف فردية.

الصورة 3. مدخل المدرسة العليا للأساتذة، القبة

2. أوّل مدير للمدرسة

عُيّن السيد أحمد حميد بن سالم [3] مديرا للمدرسة بقرار من السيّد وزير التربية وتسلّم مهامه يوم 09 نوفمبر 1964، قبل أن يثبّت بمقتضى المرسوم الصّادر في 29 مارس 1966، ليكون بذلك أوّل مدير للمدرسة من يوم افتتاحها إلى مطلع السنة الجامعية 1969-1970(أكتوبر 1969).

الصورة 4. أحمد حميد بن سالم

والرّاجح أنّ تدشين المدرسة وتسميتها باسم الشخ البشير الإبراهيمي، رحمه الله، (الذي تُوفي يوم الخميس 20 مايو 1965) كان في مطلع السنة الجامعية 1965-1966 بحضور السيد العربي سعدوني (1923-1992)، وزير الأوقاف آنذاك. ولعله من المفيد ذكر أن السيّد أحمد حميد بن سالم عُيّن مباشرة بعد إنهاء مهامه بصفته مديرا للمدرسة رئيسا لجامعة الجزائر، المنصب الذي شغله حتى سبتمبر 1970، ليعيّن بعدها سفيرا للجزائر في الكونغو برازافيل إلى أن وافته المنية في 9 مارس 1973عن عمر ناهز 65 سنة. دفن، رحمه الله، في مقبرة سيدي امحمّد في 12 مارس 1973.

عرفتُ السيد بن سالم مديرا للمدرسة سنة 1967-1968. وإنّك إذا رأيته يمشي في رواق المدرسة بتؤدة، وقورا ذا مهابة، أعطاه الله بسطة في الجسم وفصاحة في اللسان باللغتين، العربية والفرنسية، لا يمكنك إلّا إكباره. لقد كان حريصا على الطلبة الأساتذة، يجتمع بمندوبي الأقسام في مكتبه ليطّلع على أحوالهم ونتائجهم ويبدي ملاحظاته ويسدي توجيهاته.

كانت الإدارة في عهد السيد بن سالم بسيطة تتلخص في المدير والأمين العام والمقتصد وعدد قليل من الموظفين. واللّافت للانتباه وجود مستشار تربوي فرنسي يدعى برت (Porte) فترة من الزمن.

وخلف السيد أحمد حميد بن سالم، الأستاذ عبد الحفيظ مصطفاي مديرا للمدرسة وثُبّت في هذه الوظيفة بمقتضى المرسوم الصّادر في 13 نوفمبر 1969 ليشغلها حتى 1990.

الصورة 5. عبد الحفيظ مصطفاي، وهو تلميذ في السنة النهائية بالثانوية، عام 1953-1954

3. مهام المدرسة وشروط الالتحاق بها

نصّ مرسوم إنشاء المدرسة السّالف الذكر على أنها مؤسسة عمومية وطنية للتعليم العالي تتمتّع بالاستقلال المالي وأنها مكلفة بإعداد أساتذة التعليم الثانوي العام(آداب وعلوم)، وأن المترشحين والمترشحات للمدرسة العليا -الذين هم بالضرورة من حملة شهادة البكالوريا- يخضعون لمسابقة كتابية وشفهية، ويستفيدون من مرتبات متدرجة بحسب سنوات الدّراسة مقابل إمضاء تعهّد بالعمل مدة أدناها خمس سنوات ابتداء من تاريخ تخرجهم في أي منصب يعيّنون فيه في مؤسسة ثانوية، وأنّ على من يخل منهم بهذا الالتزام أن يعيد لخزينة الدولة المبالغ التي تقاضاها، وأن مدة الدراسة ثلاث سنوات يُحضّر خلالها الطّلبة الأساتذة -تلك تسميتهم وفق المرسوم- ليسانس تعليم (licence d'enseignement) في حقل تخصصهم. كما يتلقون خلال هذه المدة تكوينا بيداغوجيا في المدرسة، ويُمنحون شهادة تخرّج تخولهم حق التوظيف بصفة أساتذة متدربين في مؤسسات التعليم الثانوي. نلاحظ أن كلمة licence كلمة من أصل لاتني (licentia) بمعنى الرخصة والسّماح بفعل شيء، يمكن ترجمتها بالإجازة الشائعة في الإرث الثقافي العربي.

ولقد حدّد المقرر الصادر في 15 نوفمبر 1964 شروط الالتحاق بالمدرسة، واللافت للانتباه فيها أن من بينها ألّا تقل سن المترشح للسنة الأولى عن 18 سنة، وأنه يمكن قبول رعايا البلاد الإفريقية (كان يوجد طالب بالمدرسة من جنسية كونغولية في أواخر الستينيات) بعد إذن وزير الإرشاد القومي، وأن المسابقة في التخصصات العلمية كانت تتضمّن مادة في الثقافة العامة (شرح نص) بمعامل 2.

ومن الجدير بالذكر أنه كان بإمكان الطلبة المتفوقين في نهاية السنة الثالثة أو الرّابعة، أو الطلبة الذين أبانوا عن استعداد للبحث العلمي، أن يعفوا من الالتزام بالتعليم في الثانوي طيلة 5 سنوات لتحضير شهادة الدكتوراه على ألّا نتعدى نسبتهم 15%. كما تجدر الإشارة إلى أنّ النظام المعتمد عموما في المدرسة هو النظام الداخلي لكل الطلبة إلّا استثناء مبررا.

ونذكر أنّه قد التحق بالمدرسة في سنة افتتاحها الأولى، أي في أكتوبر 1964، ستون طالبا في العلوم والآداب من بينهم خمس عشرة طالبة، بعد مسابقة كتابية وشفوية، منهم ثلاثة وأربعون في السنوات الأولى وسبعة عشر في السّنوات الثانية. ونُشرت أسماؤهم في الجريدة الرسمية رقم 103 الصادرة بتاريخ 15 ديسمبر 1964.

وظلت قوائم الطلبة الأساتذة الناجحين في مسابقة الالتحاق بالمدرسة تُنشر بالجريدة الرّسمية حتى سنة 1968-1969. والملاحظ أنّ مجموع الطّلبة المقبولين بالمدرسة في السّنوات الأولى لم يتجاوز قط 65 طالبا، وأنّه كان يُقبل عدد من الطلبة في السنوات الثانية وحتّى في السنوات الثالثة، وأن مجموع الطلبة في المدرسة لا يتجاوز 240 طالبا وطالبة.

ولقد كان بوسع الطلبة الأساتذة الذين يدرسون أساسا بالجامعة المركزية، كل حسب تخصصه، إمّا في كلية العلوم أو كلية الآداب، الاستفادة من دروس للتعمّق في المعارف، أغلبها كان بالمساء، يقدمها لهم بالمدرسة بعض من يختارون من أساتذتهم بالجامعة بقاعات ما كان يسمّى بالمبنى البيداغوجي. نذكر من بين هؤلاء الأساتذة على سبيل المثال: الأستاذ رشيد توري (1928-1993) رحمه الله، في الرياضيات؛ والأستاذ عبد العزيز براح والأستاذ كوبارير Caubarere في الفيزياء؛ والأستاذ جايوزو Gaillozo في كيمياء الكم.

4. التكوين البيداغوجي [4]

لم تكن مختلف أنواع ليسانس التعليم، رغم ما توحي به تسميتها، تتضمن محتويات ذات صبغة مهنية كعلم النفس وعلوم التربية الضرورية في التكوين لمهنة التعليم. وكان هذا الوضع من وراء دعوة الطلبة الأساتذة إلى تخصيص

سنة للتكوين التربوي، ولم يلبث أن استجيب طلبُهم فتابع الطلاب الّذين أحرزوا على شهادة الليسانس (طلاب الدفعة الأولى) سنة رابعة خلال السنة الجامعية 1967-1968. وكان ذلك بقرار وزاري قبل صدور المرسوم 425-68 في 26 جوان 1968، المحدّد لمدة الدراسة بالمدرسة والوضعية الإدارية للطلبة الأساتذة والذي جاء فيه على الخصوص: "مدة الدراسة أربع سنوات، السنوات الثلاث الأولى منها مخصّصة لنيل الليسانس والسّنة الرّابعة مخصصة للتكوين التربوي النظري والتطبيقي للطلبة الأساتذة." وهكذا تخرّجت الدفعة الأولى، التي التحقت بالمدرسة في 1964، في جوان 1968.

وفي نفس السياق، أي الحرص على التكوين المهني والبيداغوجي، طالب الطلبة الأساتذة بتخصيص ثانوية تطبيقية وبُنيت لهذه الغاية، في سنة 1970، الثانوية المسمّاة اليوم بثانوية الأخوين حامية والتي كان من المزمع أن يجمّع فيها أكثر أساتذة التعليم الثانوي خبرة في كل المواد لضمان تأطير تطبيقي جيد لخريجي المدرسة، لكن ذلك لم يتجسّد ميدانيا مع تغيّر النظرة إلى تكوين أساتذة التعليم الثانوي في مطلع السبعينيات.

وجدير بالملاحظة أن وزارة التربية، تحت وطأة الحاجة الملحة لأساتذة لتأطير التعليم الثانوي، ألغت السّنة الرابعة بصفة استثنائية السّنة الجامعية 1969-1970، قبل أن تُلغى رسميا بمقتضى المرسوم 71-229 المؤرخ في 25 أوت 1971.

5. المبنى البيداغوجي (bloc pédagogique)

المبنى البيداغوجي هو مبنى مكوّن من طابق تحتي وطابق أرضي وطابقين اثنين، به عدد من القاعات الدراسية والمخابر و"غُرَيْفات" صغيرة تسمى بـ les turnes، فيها سبورة وكراسٍ وطاولات، كان بعض الطلبة الأساتذة يستغلونها للمراجعات الجماعية خصوصا أيّام الامتحانات. وكانت قاعات هذا المبنى تحتضن، علاوة على دروس التعمق في مواد الاختصاص التي أشرنا إليها سابقا، دروس علوم التربية وعلم النفس المبرمجة في إطار السنة الرابعة.

ولقد أنجزت هذا المبنى شركة الأشغال الفرنسية لما وراء البحار «sotrafoum» وذلك في إطار اتفاقيات التعاون بين الجزائر المستقلة وفرنسا، في بداية السنة الجامعية 1966-1967. وبهذا المبنى أُغلقت الجهة الخلفية المفتوحة من المدرسة (الصورة 1).

وتلا هذا، في بداية السبعينيات، ما بين 1970 و 1971، بناءُ ما يُعرف اليوم بالمدرّج القديم والجناح E (حيث توجد اليوم مكاتب الأساتذة ومديريات الأقسام) المعدّ لغاية إيواء الطلبة؛ وقسم النشاطات الثقافية (هو اليوم قسم العلوم الموسيقية)؛ والإقامة الجامعية وكان ذلك من قِبل وزارة التربية الوطنية، الوزارة الوصية آنذاك. كما تجدر الإشارة إلى أنه أنجز في نفس الآونة تقريبا عدد من القاعات الجاهزة (أنجزتها الشركة الوطنية للفلين)، وكان يدرس بها طلبة العلوم السياسية. ونشير إلى أن مصدر كل المعلومات المتعلقة بالتوسع في البناء هو السيد عبد الحفيظ تشيكو الذي كان عاملا بالمدرسة منذ نهاية الستينيات إلى أن تقاعد.

6. معنى الانتساب إلى المدرسة في الفترة 1964-1971

أسلفنا أنّ الطلبة الأساتذة يتابعون دراساتهم الأساسية، محاضرات وأعمالا موجهة بجامعة الجزائر. وكان دور المدرسة البيداغوجي منحصرا في دروس التعمق في المواد (التي لم تكن إجبارية) ودروس السنة الرابعة (التي لم يكن يعر لها الطلبة عموما كبير اهتمام). ويحق للمرء حينئذ أن يتساءل عن معنى الانتساب إلى المدرسة الذي يعتز به طلبتها، إنه يجد بلا شك جذوره في تلك الحياة الجماعية التي يتيحها النظام الدّاخلي الذي ألحّ عليه، بالتأكيد عن قصد، واضعو النصوص القانونية.

إن هذا النظام هو الذي هيّأ المناخ لنشأة روح جماعية وتعاضد بين الطلبة الأساتذة الذين كانوا نخبة متميزة، يعرف بعضهم البعض ويحترم بعضهم البعض على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم الفلسفية. وإننا لا نخال أننا نجانب الصواب إن قلنا بأنّ هذه الحياة الجماعية بما تتيحه من لقاءات بين طلبة، قليل عددهم، من مناطق مختلفة من الوطن ومن تخصصات مختلفة هي فرص ثمينة لتغذية روح التنافس والإبداع. ومما يساعد على مثل هذه اللقاءات الخلاقة المبدعة هي المرافق الموجودة بالمدرسة.

7. مرافق المدرسة

1.7. المكتبة

تقع المكتبة القديمة للمدرسة في الرواق (مصلى الطّلبة اليوم)، وكانت من بداية الخمسينيات إلى أكتوبر 1964 قاعة للرياضة لمعطوبي الحرب. فتحت المكتبة أبوابها في جانفي 1965 وأسهمت بعض السفارات في تزويدها بالكتب مثل:

- سفارة فرنسا، بـ 8000 كتاب في الآداب والعلوم والثقافة العامة؛
- سفارة المملكة البريطانية (المجلس الثقافي البريطاني British Council)، بنحو 100 كتاب في اللسانيات.

وتولّى الإشراف على ترتيب الكتب، في بداية الأمر، طلبة أساتذة متطوّعون منهم الطالبة وردية كسري (فيزياء) وسعدي بوشلوش (علوم طبيعية) ونادية بن مصباح (آداب فرنسية). وكان أول من استعار كتابا في علم الحيوان الطالب الأستاذ محي الدين بومزة يوم 18جانفي 1965. وكان ذلك قبل أن تُعيَّن السيدة لوروا Leroy، بصفة متعاونة، كمسؤولة خلال مدة قصيرة لم تتجاوز السّنة ليعوّضها السيد عبد العظيم، فالسيد عبد الحميد سحيب ابتداء من ديسمبر1966، وهو الذي زوّدنا بكل المعلومات الخاصة بالمكتبة.

وكانت قاعة المطالعة بالمكتبة فضاء للطلبة، تراهم فيه منهمكين في قراءة بعض الموسوعات والدوريات. ولا يندر أن تجد في الكتب المستعارة تعليقات الطلبة، لاسيما طلبة الفروع الأدبية والفلسفية، بقلم رصاص على هامش صفحة كتاب.

2.7. المصلى

أول مصلى بالمدرسة كان بالمكان الذي يسمّى اليوم بالمخزن ومركز الهاتف في أواخر الستينيات.

3.7. المطعم والرواق

كان المطعم تحت إشراف إدارة المدرسة ومكانه حيث توجد الآن الإدارة 2. كانت الوجبات الغذائية فيه، حتى بداية السبعينيات، تقدم للطلبة الأساتذة وهم جلوس حول المائدة، وكانت ساعات تناول الغذاء فرصا لتبادل الآراء ووجهات النظر حول مسائل ثقافية وعلمية. وإنّنا لنذكر مشي الطلبة الأقدم منا، مثنى مثنى، أو ثلاث ثلاث، بعد طعام العشاء، جيئة وذهابا، يتبادلون أطراف الحديث، في رواق المدرسة قبل التوجّه إلى غرفهم لمواصلة الدّراسة والمراجعة.

وبطبيعة الحال فإنّه كان يوجد في المدرسة ملعب صغير ومصحة وناد، وكل المرافق الصحية، وحتى غرفة ببوابة المدرسة يتلقى فيها الطلبة رسائلهم.

الصورة 6. رواق المدرسة

8. الجو الثقافي

كان يسود في أواخر الستينيات في المدرسة جو ثقافي من صنع عدة نواد منها:

- ناد للسينما والمسرح، وينشّطه مجموعة من طلبة اللغة والآداب الفرنسية (قويسم، بهلول، بن بابا علي سعدان، أمينة صحراوي، حجاج)؛
- وناد للتصوير الفوتوغرافي؛
- ونواد فكرية أخرى.

وكانت تُقام بالمدرسة من حين لآخر أمسيات شعرية وتظاهرات ثقافية.

9. من "طقوس" المدرسة

كان الطلبة الأساتذة الجدد، الملقبون بـ"الزرق" «Les Bleus» من قِبل الطلبة القدامى، يخضعون في بداية كل سنة إلى ما يسمّى بالـ bizutage، وهو مجموعة من الممارسات يفرضها عليهم من تقدمهم من الطلبة بحكم تقليد معهود متعارف عليه في المدارس العليا، ويَقبله الجدد بدرجات متفاوتة من الرضى، لئلا نقول على مضض عموما. وتتمثل هذه الممارسات في الطلب منهم بالقيام ببعض الأعمال، مثل حساب مساحة نادي المدرسة آنذاك بوحدة أعواد الكبريت، أو إحضار ضفدعة في عربة يدوية، أو تمثيل دور مسرحي وإلقاء قصيدة على إيقاع معين، إلخ. أمّا أنا فلقد سئلت عن نتيجة العملية 1+1 وكان جوابي على الفور اثنين، قيل أخطأت، فأجبت "زوج"، قيل أخطأت، فأجبت deux، قيل لي أخطأت، وماذا تفعل بالمثنى فالجواب واحدين وتبعها ضحك. كما طُلب مني أن أمثّل مسرحية تتلخص في حوار بين زوجين مترادفين على دراجة في يوم ريح عاصف حول شؤون البيت. وأذكر أن القصة انتهت بضحك لمّا قلت

بأنني لا أستطيع أن أشتري شيئا للبيت لأن المدرسة لم تصرف لنا بعد شبه الرّاتب. ولعله يكون من أهداف هذه الطقوس التي استمرت حتى أواخر الستينيات رمزية مفادها قبول الطالب الجديد ضمن طلبة المدرسة.

10. المدرسة أوّل مؤسسة جامعية توفر لطلابها النقل

كان الطلبة الأساتذة، الذين كما أسلفنا يتابعون دراساتهم بجامعة الجزائر، يتنقلون بين الجامعة المركزية والمدرسة بواسطة وسائل النقل العمومية بتخفيضات تصل إلى 50%. ونظرا للوقت الطويل الذي كان يضيع في انتظار الحافلات العمومية وطول مدة تنقلها، طالب ممثلوهم بتوفير وسائل نقل خاصة بالطلبة فاستجابت لهم إدارة المدرسة ووفرت حافلتين جديدتين سنة 1969، أسمى الطالب الأستاذ الحبيب الهاشمي أولاهما بـ «J'attends» (أنتظرُ) وثانيتهما بـ «J'arrive» (أنا آتيةٌ). وهكذا كانت المدرسة **أول مؤسسة جامعية** سبّاقة في توفير النقل لطلبتها.

للنكتة نذكر بالمناسبة أن المرحوم عيسى حاج سعيد، الذي كان طالبا في التاريخ، أخبرنا بأنه قدّر أن الوقت الذي يقضيه في الحافلات وفي انتظارها نحو 6 أشهر في سنوات الدراسة الأربع، ومن أجل ذلك قرر صرف هذا الوقت في اصطحاب كتاب للمطالعة.

11. من أهم نشاطات المدرسة : الاحتفال بالذكرى العشرين للمدرسة

أحيت المدرسة الذكرى العشرين لتأسيسها وكان من مقاصد إحياء هذه الذكرى ترسيخ تقليد من شأنه ربط الصلة بين مختلف الأجيال من خريجي المدرسة على أن تتكرر بصفة دورية، وحالت الأحداث التي شهدتها البلاد في التسعينيات دون ذلك.

ونذكر أنّ الشارة المميزة للمدرسة (الصورة 6) كانت من صنع الأستاذ مسعود خلفوهم (الذي كان أستاذ رياضيات بثانوية حسيبة بن بوعلي، وكان قبلها طالبا بالمدرسة بقسم الرياضيات في أواخر السبعينيات متميزا بمواهبه في مجال الخط العربي والرّسم). وكان ذلك بمناسبة إحياء الذكرى العشرين لإنشاء المدرسة، في شهر أفريل 1984. وفي هذا السّياق نذكر أنّ أحد أساتذته، الأستاذ محمد العيد قادري، هو الذي قدّمه لإدارة المدرسة وعرّفها بمواهبه. وفيما بعد، تبنّت هذه الشارةَ جمعيةُ تاريخ الرياضيات بالمدرسة، إذا صار يظهر في منشوراتها وملتقياتها.

الصورة 7. شعار المدرسة

ولقد أسندت مهمة تنظيم مراسيم إحياء الذكرى إلى الأستاذ قداري غشام، وهو من قدامى طلبة المدرسة في العلوم الطبيعية (التحق بالمدرسة في نوفمبر1967). وتجدر الإشارة إلى أنّ السيد قداري، الذي علّم فترة بالمدرسة، قد شغل منصب مدير عام لمركز الدراسات والبحث التطبيقي وتطوير الصيد البحري وتربية الأحياء المائية حتى سنة 1992، ودُعي بعدها لمهام أخرى.

مراجع

[1] http://www.mcmmto.dz/article.php?post=1497
[2] https://athar.persee.fr/doc/chana_1111-858x_1955_num_19_1_1028
[3] http://sidielhadjaissa.over-blog.com/2017/07/qui-a-entendu-parler-de-si-hamid-bensalem.html
[4] سعداني، محمد الطيب، التكوين التربوي والمهني لأساتذة العلوم في الجزائر، مراحل تطوّره منذ الاستقلال وآفاق تجديده في مطلع الألفية الثالثة، رسالة المجلس الأعلى للتربية، عدد خاص أفريل 1999.

الصورة 8. صورة جماعية لتلاميذ السنة النهائية (شعبة الرياضيات Math-Elem)، معظمهم أوروبيون. أخذت الصورة خلال السنة الدراسية 1953-1954 بثانوية بيجو Bugeaud سابقا (الأمير عبد القادر، حاليا) قرب ساحة الشهداء بالعاصمة. ويظهر في الصف الأخير (الثاني، من اليمين إلى اليسار) المرحوم عبد الحفيظ مصطفاي، المدير الأسبق للمدرسة العليا للأساتذة-القبة، وعمره لم يتجاوز 19 سنة.